

حوار هادي

لقي رجل اسمه **عبدالله** رجلاً اسمه **عبد النبي**، فأنكر **عبدالله** هذا الاسم في نفسه، وقال: كيف يتعبد أحدٌ لغير الله ﷻ؟ ثم خاطب **عبد النبي** قائلاً له: هل تعبد غير الله؟ فقال **عبد النبي**: لا، أنا لا أعبد غير الله، أنا مسلم وأعبد الله وحده.

فقال **عبدالله**: إذاً ما هذا الاسم الذي يشبه أسماء النصارى في تسميهم: **عبد المسيح**، ولا غرابة، فإن النصارى يعبدون عيسى عليه السلام، والذي يسمع اسمك يتبادر إلى ذهنه أنك تعبد النبي ﷺ، وليس هذا معتقداً للمسلم في نبيه، بل الواجب عليه أن يعتقد أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله.

فقال **عبد النبي**: ولكن النبي محمداً ﷺ خير البشر وسيد المرسلين، ونحن نتسمى بهذا الاسم تبركاً وتقرباً إلى الله بجاه نبيه ومكانته عنده، ونطلب منه ﷺ الشفاعة لذلك، ولا تستغرب؛ فإن أخي اسمه: عبدالحسين، وقبله أبي اسمه: عبد الرسول، والتسمي بهذه الأسماء قديم ومنتشر بين الناس، وقد وجدنا آباءنا على هذا، فلا تشدد في المسألة، فإن الأمر سهل والدين يسر.

فقال **عبدالله**: وهذا منكر آخر أعظم من المنكر الأول، وهو أن تطلب من غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، سواء كان هذا المسؤول هو النبي محمد ﷺ نفسه، أو من دونه من الصالحين، مثل الحسين عليه السلام أو غيره، وهو منافٍ للتوحيد الذي أمرنا به، ولمعنى لا إله إلا الله.

وسوف أعرض عليك بعض الأسئلة، ليتبين لك عظم الأمر، وعواقب التسمي بهذا الاسم وأمثاله، ولا هدف لي ولا مقصد إلا الحق وأتباعه، وبيان الباطل واجتنابه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولكن أذكرك قبل ذلك بقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ وقوله ﷻ: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

عبدالله: أنت قلت إنك توحيد الله، وتشهد أن لا إله إلا الله فهل لك أن تبين لي معناها؟ **عبد النبي**: التوحيد هو أن تؤمن أن الله موجود، وهو الذي خلق السماوات والأرض، وأنه المحيي المميت المتصرف بالكون، وهو الرزاق العليم الخبير القادر...

عبدالله: لو كان هذا هو التوحيد فقط لكان فرعون وقومه وأبو جهل وغيرهم موحدين؛ لأنهم لم يجهلوا هذا الأمر مثل أكثر المشركين، ففرعون الذي ادعى الربوبية كان يعترف ويؤمن في قرارة نفسه أن الله موجود، وهو المتصرف بالكون، والدليل قوله ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. وقد ظهر هذا الاعتراف جلياً حين أدركه الغرق.

ولكن في الحقيقة أن التوحيد الذي بعثت لأجله الرسل وأنزلت به الكتب وقوتلت من أجله قريش هو أفراد الله بالعبادة، والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والإله في (لا إله إلا الله) معناه: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له.

عبدالله: وهل تعلم لماذا أرسلت الرسل في الأرض، وأولهم نوح عليه السلام؟

عبد النبي: لكي يدعو المشركين إلى عبادة الله وحده وترك كل شريك له ﷻ.

عبدالله: وما هو سبب شرك قوم نوح؟

عبد النبي: لا أعرف!

عبدالله: أرسل الله نوحاً إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر.

عبد النبي: أتعني أن وداً، وسواهاً، وغيرهم؛ أسماء لرجال صالحين وليست أسماء لجبابرة كافرين؟
عبد الله: نعم هذه أسماء لرجال صالحين اتخذها قوم نوح آلهة، وتبعهم العرب في ذلك، ودليل ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ودد فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يعوث فكانت لمراء ثم ليبي غطف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لجمير لآل ذي الكلاع؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلي قومهم أن أنصبوا إلي مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبُد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبِدَت » البخاري.

عبد النبي: هذا كلام عجيب !

عبد الله: ألا أدلك على ما هو أعجب منه، أن تعلم أن خاتم الأنبياء سيدنا محمدًا صلوات الله وسلامه عليه قد أرسله الله إلى قوم يستغفرون ويتعبدون ويطوفون ويسعون ويحجون ويتصدقون، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله، يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى عليه السلام، وأناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمدًا صلوات الله وسلامه عليه يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد حق خاص لله لا يصلح منه شيء لغيره، فهو الخالق وحده لا شريك له، ولا رازق إلا هو، والسموات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن كلهم عبيده، وتحت تصرفه وقهره، بل حتى الآلهة التي يعبدونها يعترفون أنها تحت ملكه وتصرفه.

عبد النبي: هذا كلام خطير وعجيب، فهل من دليل عليه؟

عبد الله: الأدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقُونَ ﴾ ٨٥ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٧ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوْكَ ٨٩ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٩٠ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴾ ٩١

وكان المشركون يلبون في الحج بقولهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. فاعتراف مشركي قريش بأن الله هو المتصرف بالكون، أو ما يسمى (توحيد الربوبية) لم يدخلهم الإسلام، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، ولذا فيجب صرف الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستعانة كلها بالله، وجميع أنواع العبادة كلها لله.

عبد النبي: إذا لم يكن التوحيد هو الإقرار بوجود الله وتصرفه بالكون كما تزعم، إذاً فما هو؟

عبد الله: التوحيد الذي أرسلت من أجله الرسل، وأبى المشركون الإقرار به هو: **إفراد الله تعالى بالعبادة**، فلا يصرف شيء من أنواع العبادة لغيره؛ كالدعاء والنذر والذبح والاستغاثة والاستعانة وغيرها. وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله؛ فإن الإله عند مشركي قريش هو الذي يقصد بهذه العبادات، سواء كان ملكاً أو نبياً، أو ولياً، أو شجرة أو قبراً، أو جنياً، ولم يريدوا أن الإله هو الخالق، الرازق، المدبر، فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما تقدم،

فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وتطبيق معناها لا التلفظ بها فقط.
عبد النبي: كأنك تريد أن تقول: **أن مشركي قریش أعلم بمعنى لا إله إلا الله** من كثير من مسلمي زماننا.
عبد الله: نعم، وهذا هو الواقع المؤلم، فإن الكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: أفراد الله بالعبادة، والكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾، مع إيمانهم بأن الله هو المتصرف بالكون، فإذا كان جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من معناها، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا إلا الله، فلا خير في رجال يدعون الإسلام و جهال كفار قریش أعلم منهم بمعنى لا إله إلا الله.

عبد النبي: لكني لا أشرك بالله، بل أشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فضلا عن علي والحسين وعبد القادر وغيرهم، ولكني مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلبهم أن يشفعوا لي بجاههم عنده.
عبد الله: أجيئك بما سبق، وهو أن الذين قاتلهم النبي ﷺ مقرّون بما ذكرت، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة، وسبق أن دللنا على ذلك من القرآن.

عبد النبي: لكن هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، فكيف تجعلون الأنبياء والصالحين كالأصنام؟
عبد الله: سبق وأن اتفقنا على أن بعض هذه الأصنام سميت بأسماء رجال صالحين، كما في وقت نوح عليه السلام، وأن الكفار ما أرادوا منها إلا الشفاعة عند الله، لأن لها مكانة عنده، والدليل قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ أَعْبَدُوهُمْ إِلَّا لِيَقْرُبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

وأما قولك: كيف تجعلون الأنبياء والأولياء أصناما؟ فنقول: إن الكفار الذين أرسل إليهم النبي ﷺ منهم من يدعو الأولياء، الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُحْدُورًا﴾، ومنهم من يدعو عيسى عليه السلام وأمه، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، ومنهم من يدعو الملائكة، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ﴾.

فتأمل في هذه الآيات قد كفر الله فيها من قصد الأصنام، وكفر من قصد الصالحين من الأنبياء والملائكة والأولياء على حدّ سواء، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يفرق بينهم في ذلك.

عبد النبي: لكن الكفار يريدون منهم نفعا، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، ولا أريد ذلك إلا منه ﷻ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، لكن أقصدهم أرجو شفاعتهم عند الله.
عبد الله: قولك هذا هو قول الكفار سواء بسواء، والدليل قوله ﷻ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

عبد النبي: ولكني لا أعبد إلا الله، والالتجاء إليهم ودعاؤهم ليس بعبادة!
عبد الله: ولكني أسألك: هل تُقرُّ أن الله فرض عليك إخلاص العبادة له وهو حقه عليك، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاءَ﴾.

عبد النبي: نعم فَرَضَ عليّ ذلك.

عبد الله: وأنا أطلب منك أن تبين لي هذا الذي فرضه الله عليك ، وهو إخلاص العبادة ؟

عبد النبي: لم أفهم ماذا تعني بهذا السؤال فبين لي.

عبد الله: أصغ لي لأبين لك ، قال الله ﷻ: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

فهل الدعاء عبادة لله ﷻ أم لا ؟

عبد النبي: بلى ، **هو أصل العبادة** كما في الحديث : « الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ » أبو داود.

عبد الله: ما دمت أقررت أنه عبادة لله ثم دعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً في حاجة ما ، ثم

دعوت في تلك الحاجة نبياً أو ملكاً أو صالحاً في قبره ، فهل أشركت في هذه العبادة ؟

عبد النبي: نعم أشركت ، وهذا كلام صحيح وواضح .

عبد الله: وهاك مثالا آخر وهو: إذا علمت بقول الله ﷻ: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَر ﴾ وأطعت هذا

الأمر من الله وذبحت ونحرت له ، هل ذبحك ونحرك عبادة له ﷻ أم لا ؟

عبد النبي: نعم هو عبادة .

عبد الله: فإن نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما مع الله ، هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟

عبد النبي: نعم هذا شرك بلا شك .

عبد الله: وأنا مثلت لك بالدعاء والذبح ، لأن الدعاء أكد أنواع العبادة القولية ، والذبح أكد

أنواع العبادة الفعلية ، وليست العبادة مقتصرة عليهما ، بل هي أعم من ذلك ، ويدخل فيها

النذر والحلف والاستعاذة والاستعانة وغيرها. ولكن المشركين الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا

يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟

عبد النبي: نعم ، هم كانوا يفعلون ذلك .

عبد الله: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح ، والاستعاذة ، والاستعانة ،

والالتجاء ، وإلا فهم مقرّون أنهم عبيد الله وتحت قهره ، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ، ولكن

دعّوهم والتجئوا إليهم للجاء والشفاعة ، وهذا ظاهر جداً.

عبد النبي: هل تنكر - يا عبد الله - شفاعَةَ رسول الله ﷺ وتبرأ منها ؟

عبد الله: لا ، أنا لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو - أفديه بأبي وأمي - الشافع المشفع ﷺ ،

وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعَة كلها لله ، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً ﴾ ، ولا تكون

إلا من بعد أن يأذن الله ، كما قال الله ﷻ: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ، ولا يُشفع

لأحد إلا بعد أن يأذن الله فيه ، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ ، وهو لا

يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴾ فإذا كانت الشفاعَة كلها لله ، ولا تكون إلا بعد إِذْنِهِ ﷻ ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا

غيره في أحد حتى يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ ، ولا يأذن الله إلا لأهل التوحيد ، فإذا تبين أن الشفاعَة كلها لله ،

فأنا أطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفّع رسولك فيّ ونحو ذلك.

عبد النبي: اتفقنا أنه لا يجوز أن يُطلب من أحد شيء لا يملكه ، والنبي ﷺ قد أعطاه الله

الشفاعة ، ولأنه أعطىها فقد ملكها ، وبهذا يجوز أن أطلب منه ما يملكه ولا يكون ذلك شركاً.

عبد النبي: ولكن الله يقول: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

عبد الله: ونحن نؤمن أنه الحق ونقول به، ولكن لا يُعبدون، ونحن لا ننكر إلا عبادتهم مع الله،

وإشراكهم معه، وإلا فالواجب عليك حبهم وأتباعهم، والإقرار بكراماتهم، ولا يحدد كرامات الأولياء إلا أهل البدع، ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالين، وحق بين باطلين.

عبد النبي: الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله، ويكذبون رسول الله ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن، ويجعلونه سحراً، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلي، ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

عبد الله: ولكن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدّق رسول الله ﷺ في شيء وكذّب في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد وجوب الحج، ولما لم يتقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج أنزل الله تعالى في حقهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، وإن جحد البعث كفر بالإجماع، ولذلك صرح الله في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، وأمر أن يؤخذ الإسلام جملة، ومن أخذ شيئاً وترك شيئاً فقد كفر فهل أنت تقر أن من آمن ببعض وترك البعض كفر؟

عبد النبي: نعم أقر بذلك، وهو واضح في القرآن الكريم.

عبد الله: فإذا كنت تقر أن من صدّق الرسول ﷺ في شيء وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بكل شيء إلا البعث، فهو كافر بإجماع المذاهب، وقد نطق القرآن به كما سبق، فاعلم أن التوحيد أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر! سبحان الله! ما أعجب هذا الجهل!

وأيضاً تأمل أصحاب رسول الله ﷺ حين قاتلوا بني حنيفة في اليمامة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلون ويؤذنون.

عبد النبي: ولكنهم يشهدون أن مسيلة نبي، ونحن نقول: لا نبي بعد محمد ﷺ.

عبد الله: ولكنكم ترفعون بعض الصالحين من الأنبياء أو الملائكة أو الصحابة أو غيرهم إلى رتبة جبار السماوات والأرض، فإذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر، وحلّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشهادات ولا الصلاة، فمن رفعه إلى رتبة الله ﷻ من باب أولى. وكذلك الذين حرقهم علي رضي الله عنه بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم أصحاب علي رضي الله عنه وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل اعتقادكم في عبدالقادر وغيره، فكيف أجمع الصحابة على قتالهم وكفرهم؟، أظن أن الصحابة يكفرون المسلمين؟! أم تظن أن الاعتقاد في السيد وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي رضي الله عنه يكفر؟

ويقال أيضاً: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك، وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب «باب حكم المرتد»؟ وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه، ثم ذكروا أشياء كثيرة، كل نوع منها يخرج الواقع به من الإسلام، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة في سخط الله يذكرها بلسانه دون قلبه، أو يذكرها على وجه المزح واللعب. وكذلك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ أَبِإِلَهِهِمْ وَإِبْنِهِ وَرُسُلِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، فهؤلاء الذين صرح الله أنهم

كفروا بعد إيمانهم وهم مع رسوله ﷺ في غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزاح.

ويقال أيضاً: ما حكى الله ﷻ عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحتهم أنهم قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾، وقول أناس من أصحاب النبي ﷺ: اجعل لنا ذات أنواط، فحلف النبي ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا هُمْ ءَالِهَةٌ﴾.

عبد النبي: ولكن بني إسرائيل، والذين سألوا النبي ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط لم يكفروا بذلك. **عبد الله:** والجواب أن بني إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا، ولو فعلوا ذلك لكفروا، وأن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا.

عبد النبي: لكن لدي إشكال آخر، وهو قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه حين قتل من قال: لا إله إلا الله وإنكار النبي ﷺ عليه وقال له: «يَا أُسَامَةُ: أَقْتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» البخاري وكذا قوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مسلم. فكيف أجمع بين ما قلت وبين هذين الحديثين؟ أرشدني أرشدك الله.

عبد الله: من المعلوم أن النبي ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لا إله إلا الله، وأن أصحابه قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويصلون، وكذلك الذين حرقهم علي رضي الله عنه. وأنت تقر أن من أنكر البعث كفر وحلّ قتله ولو قال: لا إله إلا الله، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟! ولعلك لم تفهم معنى هذه الأحاديث.

أما حديث أسامة: فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام لأنه ظن أنه ما قالها إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل المظهر للإسلام يجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك، قال ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيِّتُوا﴾ أي: تثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله: ﴿فَبَيِّتُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت فائدة.

وكذلك الحديث الآخر: معناه ما ذكرناه، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك، والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ الذي قال: «أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» البخاري وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مسلم هو الذي قال في الخوارج: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» البخاري، مع أنهم أكثر الناس عبادة وتهليلاً، حتى إن الصحابة يحرقون أنفسهم عند رؤية عبادة هؤلاء، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تمنعهم لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام من القتل لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.

عبد النبي: وما قولك فيما ثبت عن النبي ﷺ: أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى، ثم بيسى، فيعتذرون، حتى تنتهي إلى محمد ﷺ. هذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً.

عبد الله: هذا خلط منك بحقيقة المسألة، فالاستغاثة بالخلق الحي الحاضر على ما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال ﷺ: ﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾. وكما يستغيث إنسان بأصحابه في الحرب وغيرها في أشياء يُقدَّرُ عليها، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي تفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، والناس يستغيثون بالأنبياء يوم القيامة، يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي لرجل صالح

يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع الله لي ، كما كان أصحاب النبي ﷺ يسألونه في حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا ، فهم ما سألوه ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبر.

عبد النبي : وما قولك في قصة إبراهيم عليه السلام لما ألقى في النار فاعترضه جبريل عليه السلام في الهواء ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم عليه السلام : « أما إليك فلا » ، فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم !

عبد الله : هذه الشبهة من جنس الشبهة الأولى ، والأثر غير صحيح ، ولو فرضنا صحته فإن جبريل عليه السلام عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فهو كما قال ﷺ فيه : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾ فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها بالمشرق أو المغرب لما أعجزه ذلك ، وهذا كرجل غني عرض على محتاج أن يقرضه مالا ليقضي حاجته ، فأبى وصبر حتى يأتيه الله برزق لا مئة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العباد والشرك التي تفعل الآن ؟!

واعلم أخي أن الأولين الذين بُعث إليهم سيدنا محمد ﷺ أخف شركا من أهل زماننا لأمر ثلاثة :

الأول : إن الأولين لا يشركون مع الله غيره إلا في الرخاء ، أما في الشدة فيخلصون الدين لله ، بدليل قوله ﷺ : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ ، وقوله ﷺ : ﴿ **وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاظِمٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِغَايَتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ** ﴾ ، فالمشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الشدة فلا يدعون إلا الله وحده ، وينسون ساداتهم ، وأما مشركو زماننا فإنهم يدعون غير الله في

الرخاء والشدة فإذا ضاق أحدهم قال : يا رسول الله يا حسين وغيرهما. ولكن أين من يفهم ذلك ؟

الثاني : إن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عنده ؛ إما نبيا ، أو وليا ، أو ملكا ، أو على الأقل حجرا أو شجرا يطيع الله ولا يعصيه ، وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس. والذي يعتقد في الصالح والذي لا يعصي كالحجر والشجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده.

الثالث : إن جملة مشركي زمن النبي ﷺ إنما كان شركهم في توحيد الألوهية ولم يكن في توحيد الربوبية ، خلافا لشرك المتأخرين ، فإن الشرك واقع بكثرة في الربوبية ، كما أنه واقع في الألوهية كذلك ، فهم يجعلون الطبيعة مثلا هي المتصرف في الكون من الإحياء والإماتة..... الخ .

ولعلي أختتم كلامي بذكر مسألة عظيمة تفهم مما تقدم ؛ وهي أنه لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون باعتقاد القلب ، وقول اللسان ، وفعل الأسباب بعمل الجوارح ، فإن اختل شيء من هذا ؛ لم يكن الرجل مسلما ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به ؛ فهو كافر معاند ، كفرعون ، وإبليس .

وهذا يغلط فيه كثير من الناس ويقولون : هذا حق ولكن لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا وبني قومنا ، ولا بد من موافقتهم ومداھنتهم خوفا من شرهم. ولم يعرف المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال ﷺ : ﴿ **أَشْتَرُوا بِغَايَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ .

ومن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص ، لقوله ﷺ : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ** ﴾ .

وهذه المسألة تبين لك واضحة إذا تأملتها في السنة الناس ، فترى من يعرف الحق ويترك العمل به خوفا نقص دنياه كقارون ، أو جاهه كهامان ، أو ملكه كفرعون ، وترى من يعمل به ظاهرا لا

باطناً كالمنافقين ، فإذا سأله عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه .

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله ﷻ :

الآية الأولى : ما تقدم ، وهي قوله ﷻ : ﴿ لَا تَعْدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ . فإذا علمت أن بعض الذين غزوا الروم مع رسول الله ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزاح ؛ تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفاً من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها ، لأن المازح في الغالب لا يعتقد في قلبه ما يقوله بلسانه لإضحاك القوم ، أما الذي يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفاً أو طمعاً فيما عند المخلوق ، فقد صدق الشيطان بمبعاده ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ ، وخاف من وعيده : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ . ولم يصدق الرحمن بمبعاده : ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾ . ولم يخف من وعيد الجبار : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . فهل يستحق من هذه حاله أن يكون من أولياء الرحمن أم من أولياء الشيطان ؟!

والآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، أما غيره فقد كفر سواء فعله خوفاً ، أو طمعاً ، أو مداراة لأحد ، أو مشقة بوطنه أو أهله وعشيرته ، أو ماله ، أو فعله على وجه المزاح ، أو لغير ذلك إلا المكره فإن الآية تدل على أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام والفعل ، وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، فصرح أن العذاب لم يكن بسبب الاعتقاد ، والجهل والبغض للدين ، أو محبة الكفر ، إنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فأثره على الدين ، والله أعلم .

وبعد هذا كله ألم يأن لك - هداك الله - أن تتوب إلى ربك وتعود إليه وتترك ما أنت عليه ، فإن الأمر كما سمعت جد خطير ، والمسألة عظيمة ، والخطب جلل .

عبد النبي : أستغفر الله وأتوب إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وقد كفرت بكل ما كنت أعبد من دون الله ، وأسأل الله أن يعذرني عما سبق ، وأن يصفح عني ، وأن يعاملني بلطفه ومغفرته ورحمته ، وأن يثبتني على التوحيد والعقيدة الصحيحة حتى ألقاه ، وأسأله أن يجزيك - يا أخي عبدالله - خيراً على هذا النصح ، فإن الدين النصيحة ، وعلى إنكارك ما أنا عليه ؛ وهو اسمي عبد النبي ، وأخبرك بأني غيرته إلى اسم (عبد الرحمن) ، وعلى إنكار المنكر الباطن الذي كنت عليه وهو المعتقد الضال الذي لو لقيت الله وأنا عليه لما أفلحت أبداً .

ولكن أريد أن أطلب منك طلباً أخيراً وهو أن تذكر لي بعض المنكرات التي كثر غلط الناس فيها .

عبد الله : لا بأس ، فأرعني سمعك :

✽ **إياك أن يكون شعارك** فيما اختلف فيه من كتاب أو سنة اتباع المختلف فيه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وفي الحقيقة لا يعلم تأويله إلا الله ، وليكن شعارك شعار الراسخين في العلم ، الذين يقولون في المتشابه : ﴿ أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ، وفي المختلف فيه ، قول الرسول ﷺ : « دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ » أحمد والترمذي ، وقول النبي ﷺ : « فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ » متفق عليه ، وقول النبي ﷺ : « وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ

يُطْلَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ» مسلم، وقول النبي ﷺ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - الْبِرُّ مَا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَقْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ» أحمد.

✳ إياك واتباع الهوى فإن الله قد حذر من ذلك بقوله ﷺ: «أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ».

✳ إياك والتعصب للرجال والآراء، وما كان عليه الآباء فإنه يحول بين المرء وبين الحق، فإن الحق ضالة المؤمن أينما وجدته فهو أحق به، قال ﷺ: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ».

✳ إياك والتشبه بالكفار، فإنه رأس كل بلية، قال ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» أبو داود.

✳ إياك أن تتوكل على غير الله، فقد قال ﷺ: «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ».

✳ لا تطع أي مخلوق في معصية الله. قال ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» الترمذي.

✳ إياك وسوء الظن بالله، فإنه ﷺ قال في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» متفق عليه.

✳ إياك ولبس الحلقة أو الخيط ونحوهما لدفع البلاء قبل أن يقع، أو رفعه إذا وقع.

✳ إياك وتعليق التماثيل لدفع العين، فإنه شرك قال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ» الترمذي.

✳ إياك والتبرك بالأحجار والأشجار والآثار والبنيات، فإنه شرك.

✳ إياك والتطير والتشاؤم من أي شيء، فإنه شرك، قال ﷺ: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ ثَلَاثًا» وأبو داود.

✳ إياك وتصديق السحرة والمنجمين الذين يدعون علم الغيب، ويظهرون الأبراج في الصحف، وسعادة أو تعاسة أصحابها، وتصديقهم في ذلك شرك، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله.

✳ إياك ونسبة نزول المطر إلى النجوم والفصول، فإنه شرك، وإنما ينسب لله ﷻ.

✳ إياك والحلف بغير الله أيًا كان المحلوف به فإنه شرك، وقد جاء في الحديث: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» أحمد؛ كالحلف بالنبي، أو بالأمانة، أو بالعرض، أو بالذمة، أو بالحياة.

✳ إياك وسب الدهر، وسب الريح، أو الشمس، أو البرد، أو الحر، فإنها مسبة لله الذي خلقها.

✳ إياك وكلمة (لو) إذا أصابك مكروه فإنها تفتح عمل الشيطان، وفيها اعتراض على قدر الله، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل.

✳ إياك واتخاذ القبور مساجد، فإنه لا يُصَلَّى في مسجد فيه قبر، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال وهو في سكرات الموت: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحْدَرُ مَا صَنَعُوا». قالت: وَلَوْلَا ذَلِكَ لَابْرَزُوا قَبْرَهُ. البخاري، وقال ﷺ: «إِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنْي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» أبو عوانة.

✳ إياك وتصديق الأحاديث التي ينسبها الكذابون إلى رسول الله ﷺ في الحث على التوسل بذاته أو بالصالحين من أمته وهي موضوعة مكذوبة عليه، ومنها: «توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم»، ومنها: «إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأهل القبور»، ومنها: «إن الله يوكل ملكا على قبر كل ولي يقضي حوائج الناس»، ومنها: «لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه»، وغيرها كثير.

✳ إياك والاحتفال بما يسمى بالمناسبات الدينية مثل المولد النبوي، والإسراء والمعراج، وغيرها؛ فهي محدثة لا دليل عليها عن رسول الله ﷺ ولا صحابته الذين يحبون الرسول أكثر منا، ويحرصون على الخيرات أشد منا، ولو كان ذلك خيرا لسبقونا إليه.